بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على النعمة العظمى التي أكرمنا بها الله؛ نعمة حبيبه ومصطفاه، والصلاة والسلام على سر كل الجمال، ومصدر كل الكمال؛ سيدنا مُحَمَّد وآله وصحبه وكل من والاه.

كل مؤمن يهفو بالإيمان قلبه يتوق إلى صاحب الأوصاف سيدنا مُحَمَّد ﷺ، ويتمنى أن يُسعفه الله عز وجل برؤيته، وأن يحظى منه بنظراته، ومناه وكل ما يتمناه أن يسمع بضع كلمات من عظيم كلماته، حبَّذا لو كان له موجِّهاً وناصحاً ومرشداً، فهذا غاية الغايات، ومنى كلِّ أهل السعادات.

ولما كان يتعذَّر على كثير من أصحاب النبي ﷺ وصفه، ولم يسعفه منهم إلا القليل، وكان أكمل هذه الأوصاف ما وصفه به الإمام علي، وهند بن أبي هالة ابن السيدة خديجة، وسيدنا أنس بن مالك، وجُلَّة من الصحابة الكرام حوالى الخمسة عشر صحابياً، وكان الكثير من ألفاظهم الواردة بالوصف الشريف –بحسب زمانهم– صعبة الفهم الآن على أهل زماننا؛ فقد اجتهدت بتوفيق من الله عز وجل ورعايته أن أترجم هذه الأوصاف بكلمات سهلة ميسرة يستطيع أن يفهمها أي إنسان، وهي كالتالي[1]:

كان رسول الله ﷺ :

حَسَنَ الْجِسْمِ[2]، فَخْمَاً مُفَخَّمَاً[3] (عظيماً معظَّماً)، أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهاً، يَتَلأْلأُ (يستنير) وَجْهُهُ تَلأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقاً، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلاَ بِالْقَ ِيرِ[4]،بَلْ كَانَ يُنْسَبُ إلى الرِّبْعَةِ – مَرْبُوعَاً[5]– إِذَا مَشَى وَحْدَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ يَكُنْ يُمَاشِيهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُنْسَبُ إِلَى الطُّولِ إلا طَالَهُ رَسُولُ الله ﷺ، وَلَرُبَّمَا اكْتَنَفَهُ الرَّجُلان الطَّويلان فَيَطُولُهُمَا، فَإِذَا فَارَقَاهُ نُسِبَا إلى الطُّولِ ونُسِبَ هُوَ ﷺ إلى الرِّبْعَةِ، وَيَقُولُ ﷺ: "جُعِلَ الخَيْرُ كُلُّهُ فى الْرِّبْعَةِ" [6]،

(وَكَانَ ﷺ إِذَا جَلَسَ يَكُونُ كَتِفُهُ أَعْلَى مِنْ جَمِيعِ الْجَالِسِينَ[7]، وَكَانَ ﷺ عَظِيمَ الـ َّدْرِ)[8]، بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ[9]، أَسِيلَ الْخَدَّيْنِ (لَيْسَ فِيْهِمَا ارْتِفَاعٌ)، شَدِيدَ سَوَادِ الشَّعْرِ [10]،(نَاعِمَ أَمْلَسَ الشَّعْرِ مُتَمَوَّجاً قَلِيلاً)[11]، أَكْحَلَ الْعَيْنَيْنِ [12]

---

[1] أشرنا إلى الأحاديث الشريفة بتخريجها، أما الشروحات فوضعناها بين قوسين هكذا (...) واشرنا إلى أصل الحديث الذى يتناوله الشرح وبينَّا مصدره،وإلا فالشرح مما وفقنا الله لبيانه.

[2] سنن الترمذي عن أنس

[3] من حديث هند بن أبى هاله التميمى (ت، فى الشَّمائل، والروياني، طب، هق، فى الدَّلائل، هب، كر) { كَانَ فَخْماً مُفَخَّماً، يَتلألأُ وَجْهُهُ تَلأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ}.

[4] صحيح البخارى ومسلم والبيهقى وصحيح ابن حبان عن البراء بن عازب، روى البيهقى { كَانَ أَحْسَنَ النَّاس وَجْهاً، وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقاً، لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ وَلاَ بِالْقَصِيرِ}، وردت {خَلْقاً} فى رواية أحمد بن سعيد مما أخرجه البخارى، وورد ت { خَلْقاً وخُلُقاً } فى رواية ابن حبان، وفى بعضها {بالطويل الذاهب}.

[5] روى البخارى عن البَرَاءِ بن عازب رضى الله عنهم قال: { كَانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلممَربوعاً بَعيدَ ما بين المنكِبَين }.

[6] أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث عائشة وكذا فى تخريج أحاديث الإحياء للحافظ العراقى.

[7] شرح الزرقانى على موطأ مالك .

[8] نور اليقين لمحمد الخضرى وورد فى وصف هند بن أبى هاله بقوله { عريض الصدر}.

[9] صحيح مسلم والبخارى عن البراء وورد فى حديث وصف النبى لهند بن أبى هالة.

[10] البيهقى عن أبى هريرة

[11] فى مجمع الزوائد فى شرح أبى عبيد لحديث هند،بن أبى هالة و هو كذا معنى حديث أنس رضى الله عنه فى الشمائل للترمذى { رَجِلَ الشَّعْر، لَيْسَ بِالسَّبْطِ وَلاَ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ }.

[12] البيهقى عن أبى هريرة

(أَسْوَدَ الأَجْفَانِ، فِي بَيَاضِ عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ، طَوِيلَ شَعْرِ الأَجْفَانِ١٣، مُقَوَّسَ الْحَوَاجِبِ مَعَ طُولٍ بِغَيْرِ اتِّصَالٍ بَيْنَهُمَا١٤، طَوِيلَ الأَنْفِ مَعَ دِقَّةِ أَرْنَبَتِهِ وَفِي وَسَطِهِ بَعْضُ اِرْتِفَاعٍ،١٥ أَبْيَضَ الأَسْنَانِ مَعَ بَرِيقٍ وَتَحْدِيد فِيهَا، مُنْفَرِجَ الثَّنَايَا)١٦، إِذَا تَكَلَّمَ رُؤِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ١٧ (وَاسِعَ الفَمِّ)١٨، وَكَانَ ﷺ أَحْسَنَ عِبَادِ الله شَفَتَيْنِ وَأَلْطَفَهُمْ خَتْمَ فَمٍ١٩.

(وكان ﷺ أبيضاً مشوباً بحمرة٢٠، مُشْرَقَ اللَّوْنِ نيّرُه٢١، مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ فِي السَّمِنِ، بَدَنَ فِي آخِرِ عُمْرِهِ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ لَحْمُهُ مُتَمَاسِكاً، يَكَادُ يَكُونُ عَلَى الْخُلُقِ الأَوْلِ لَمْ يَضُرْهُ السِّمْنُ٢٢، يَشُعُّ النُّورُ مِنَ الأَعْضَاءِ الْخَالِيةِ مِنَ الشَّعْرِ)٢٣، مَوْصُولَ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ (مِنْ أَعْلَى الصَّدْرِ) إِلَى السُّرَّةِ بِشَعْرٍ يَجْرِي كَالْخَط، عَارِيَ الثَّدْيَيْنِ وَالْبَطْنِ مِمَّا سِوَىٰ ذٰلِكَ، أَشْعَرَ الذرَاعَيْنِ وَالْمَنْكَبَيْنِ وَأَعَالِي الصَّدْرِ.

طَوِيلَ الزَّنْدَيْنِ (عَظْمَا الذِّرَاعِين)، رَحْبَ الرَّاحَةِ٢٤

(وَاسِعَ الْكَفِّ حِسَّاً وَعَطَاءاً٢٥، ضَخْمَ الْكَفَّين٢٦، قَالَ ابْنُ بَطَّال: كَانَتْ كَفُّهُ ﷺ مُمْتَلِئَةً لَحْماً غَيْرَ أَنَّهَا مَعَ غَايَةِ ضَخَامَتِهَا وَغِلْظَتِهَا كَانَتْ لَيِّنَةً٢٧، كَمَا ثَبَتَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: " مَا مَسَسْتُ خَزًّا قَطُّ وَلا حَرِيرًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم "٢٨، وَكَانَ ﷺ طَوِيلَ الأَطْرَافِ طُولاً مُعْتَدِلاً)٢٩.

وَكَانَ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ قَدَماً٣٠، (فَقَدْ كَانَتَا مُرْتَفَعَتَيْنِ عَنِ الأَرْضِ مِنْ وَسَطِهِمَا بِحَيْثُ لا يَمَسُّ وَسَطِهِمَا الأَرْضَ)٣١، وَكَانَ مَسِيحَ الْقَدَمَين٣٢ (أَمْلَسُهُمَا مُسْتَوِيَهُمَا لَيِّنَهُمَا،بِلا تَكَسُّرٍ وَلا تَشَقُّقِ جِلْدِهِ)٣٣.وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا مَشَى (رَفَعَ

---

١٣ السيرة الحلبية، شرح ما أورد **مسلم من** حديث **جابر** { أشكل العينين }،**ومن حديث على** { أهدب الأشفار }.

١٤ دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني فى شرح حديث **هند بن أَبِي هَالَةَ بقوله**: { أزج الحواجب سوابغ في غير قرن }. وأيضاً فى مجمع الزوائد فى شرح الحديث.

١٥ كذا الشرح فى فيض القدير للمناوى من حديث **هند بن أَبِي هَالَةَ بقوله** { أقنى العرنين }.

١٦ فيض القدير للمناوى فى شرح حديث هند بن أبي هَالَةَ **من** قوله { أشنب مفلج الأسنان }

١٧ أخرجهُ الترمذي في الشمائل والطبرانى في الأوسط وفي الكبير والبيهقي في دلائل النبوة.

١٨ فيض القدير للمناوى من **شرحه لـ**حديث **هند من** قوله { ضليع الفم }

١٩ أبو نعيم فى دلائل النبوة للبيهقى من حديث عائشة.

٢٠ **المنتقى شرح الموطأ، وتحفة الحبيب على شرح الخطيب لحديث أنس { وَلا بِالأَبْيَضِ الأَمْهَقِ وَلا بِالآدَمِ }**

٢١ فيض القدير من شرح **حديث** هند {أزهر اللون}، **وفى دلائل النبوة: ولكن إنما كان المشرب منه حمرة ما ضحا للشمس والرياح. فأشرب بياضه من ذلك حمرة، وما تحت الثياب فهو الأبيض الأزهر.**

٢٢ إحياء علوم الدين ودلائل النبوة للبيهقى

٢٣ شرح فيض القدير للمناوى من حديث هند بن أبي هَالَةَ بقوله { أَنْوَرَ الْمُتَجَرَّدِ }.أى نيّرُه.

٢٤ عن هند بن أبى هاله التميمى (ت، فِي الشَّمائل، والروياني، طب، هق، فِي الدَّلائل، هب، كر).

٢٥ فيض القدير من شرح قول هند فى حديث الوصف { رحب الراحة }.

٢٦ من شرح قول هند فى حديث الوصف { شَثْنَ الكَفَّيْنِ }.

٢٧ فيض القدير من شرح قول هند فى حديث الوصف { رحب الراحة }.

٢٨ الصحيحين البخاري ومسلم ومسند أحمد

٢٩ من شرح قول هند فى حديث الوصف { سَائِلَ الأَطْرَافِ }.

٣٠ السيرة النبوية لإبن اسحاق عن عبدالله بن بريدة، وفى فيض القدير للمناوى.

٣١ من شرح قول هند فى حديث الوصف { خَمْصَانَ الأَخْمَصَيْن }.

٣٢ من حديث الوصف لهند { مَسِيحَ الْقَدَمَيْن }.

٣٣ فيض القدير من شرح قول هند فى حديث الوصف { **مسيح القدمين** }.

رِجْلَيْهِ بِقُوَّةٍ٣٤،وَكَانَ وَاسِعَ الْخُطْوَةِ ٣٥خِلْقَةً لا تَكَلُّفاً. قَوِيَّ الأَعْضَاء، غَيْرَ مُسْتَرْخٍ فِي الْمَشْي ٣٦، وَلا يَلْتَفِتُ وَرَاءَهُ إِذَا مَشَى، وَكَانَ ﷺ يَمْشِى مَشْيَاً يُعْرَفُ فِيهِ أَنَّهُ لَيْسَ بِعَاجِزٍ وَلا كَسْلانٍ)٣٧.

وكان ﷺ لا يَعُبُّ ولا يَلْهَث. ٣٨

وكان ﷺ إِذَا مَشَى مَشَى أَصْحَابُهُ أَمَامَهُ وَتَرَكُوا ظَهْرَهُ لِلْمَلاَئِكَةِ٣٩، وكان ﷺ لاَ يَطَأُ عَقِبَهُ رَجُلاَنِ٤٠،(وإِنْ كَانُوا ثَلاثَةً مَشَى بَيْنَهُمَا، وإِنْ كَانَ جَمَاعَةً قَدَّمَ بَعْضَهُمْ)٤١.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

"مَا رَأَيْتُ شَيْئًا أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ، وَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَسْرَعَ فِي مِشْيَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَأَنَّمَا الأَرْضُ تُطْوَى لَهُ، إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا؛ وَإِنَّهُ لَغَيْرُ مُكْتَرِثٍ".٤٢

(وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ نُوراً فَكَانَ إِذَا مَشَى بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ لا يَظْهَرُ لَهُ ظِلٌّ)٤٣.

وكَانَ وَجْهُهُ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ،وَكَانَ مُسْتَدِيراً٤٤.

قَالَتْ أُمُّ مَعْبَدٍ فِي بَعْضِ مَا وَصَفَتْهُ بِهِ: أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُ مِنْ بَعِيدٍ، وَأَحْسَنُهُ وَأَجْمَلُهُ مِنْ قَرِيبٍ.٤٥

(وَكَانَ ﷺ وَاسِعَ الظَّهْرِ، مَا بَيْنَ كَتِفَيهِ خَاتَمُ النُّبوَّةِ، وَهوَ مِمَّا يَلِي مِنْكَبَهُ الأَيْمَنِ، فِيهِ شَامَةٌ سَوْدَاءُ تَضْرِبُ إِلَى الصُّفْرَةِ حَوْلَهَا شَعَرَاتٌ مُتَوَالِيَاتٌ كَأَنَّهَا عُرْفُ فَرَسٍ)٤٦، وَكان خاتمه ﷺ غُدَّةً حَمْرَاءَ مِثْلَ بَيْضَةِ الحَمَامَةِ.٤٧

وكان ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ صَدْرَاً، وأَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً، وأَلْيَنَهُمْ عَرِيكَةً، وَأَكْرَمَهُمْ عِشْرَةً (أَحْسَنَهُمْ مُعَاشَرَةً)، خَافِضَ

---

٣٤ من شرح فيض القدير من شرح قول هند فى حديث الوصف { إِذَا زَالَ زَالَ تَقَلُّعاً }

٣٥ كما ورد فى غذاء الالباب شرح منظومة الآداب للتدليل على سرعة مشيه وسعة خطوه التى جبل عليها من أحاديث وصف مشيه ﷺ كحديث ابْنُ سَعْدٍ عَنْ مَرْثَدِ بْنِ مُرْثِدٍ: { إِذَا مَشَى أَسْرَعَ حَتَّى يُهَرْوِلَ الرَّجُلُ فَلا يُدْرِكُهُ}، وعَلِيّ:{ إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَدِرُ مِنْ صَبَبٍ} وَزَادَ البخارى: {وَإِذَا مَشَى لَكَأَنَّمَا يَمْشِي فِي صُعُدٍ}.وَفِي رِوَايَةٍ لابْنِ سَعْدٍ: { كَانَ إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفُّؤًا كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ}.وعنه أَيْضًا: { إِذَا مَشَى تَقَطَّعَ كَأَنَّمَا يَنْحَدِرُ مِنْ صَبَبٍ}.

٣٦ النهاية فى غريب الحديث لابن الأثير الجزري فى شرح حديث ابن عباس { كَانَ إِذَا مَشَى مُجْتَمِعاً }

٣٧ شرح حديث ابن عباس { كَانَ إِذَا مَشَى مُجْتَمِعاً لَيْسَ بِهِ كَسَلٌ، لَمْ يَلْتَفِتْ، يُعْرَفُ فِي مَشْيِهِ أَنَّهُ غَيْرُ كَسِلٍ وَلا وَهِنٍ } (حم، بز، عن ابن عبَّاس)، وعن جابر كما روى ابن سعد:[. كان لا يلتفت وراءه إذا مشى } .

٣٨ روى الطبراني في الكبير عن أمّ سلمة: { وكان لا يَعُبُّ، يَشْرَبُ مرتين أو□□اً }، والعبُّ الشرب بدون تنفس، ولأبي الشيخ من حديث ميمونة: { لا يعب ولا يلهث } تخريج أحاديث الإحياء العراقي

٣٩ (هـ ك) عن جابر رضي الله عنه، جامع المسانيد والمراسيل

٤٠ (حم) عن ابن عمرو رضَي اللَّهُ عنهُ.، جامع المسانيد والمراسيل وورد {رِجْلان: من الأرجل}.

٤١ فى شرح الحديث : أي لا يطأ الأرض خلفه رجلان. والمعنى أنه ﷺ لا يمشي قدام القوم بل يمشي في وسط الجمع أو في آخرهم تواضعاً، كذا فى "عون المعبود شرح سنن أبي داوود".

٤٢ جامع الترمذي ومسند أحمد

٤٣ فى المقاصد الحسنة للسخاوى: وما ذكر أنه لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لأنه كان نورا ، وفى السيرة الحلبية: وأنه إذا مشى في الشمس أو في القمر لا يكون ظل لأنه كان نوراً .

٤٤ (م) عن جابر بن سمرةَ رضى الله عنه، جامع المسانيد والمراسيل

٤٥ الحاكم في المستدرك والطبراني

٤٦ دلائل النبوة للبيهقى، والمنهاج مختصر شعب الإيمان للحليمى، وطرح التثريب للحافظ زين الدين العراقى.

٤٧ فى سنن الترمذي عَنْ جَابِرِ بنِ سَمُرَةَ كانَ خَاتَمُ رَسُولِ اللهِ يَعْنِي الَّذِي بَيْنَ كَتِفَيْهِ {الحديث }.

الطَّرْفِ (النَّظَر)، نَظْرَةُ إِلَى الأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، جُلُّ نَظَرِهِ الْمُلاَحَظَةُ٤٨.

(يُقَدِّمُ أَصْحَابَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ)٤٩،وَيَبْدَأُ مَنْ لَقِيَهُ بالسلاَمِ، مَنْ رآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ، ومَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ، يَقُولُ نَاعِتُهُ: لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ مِثْلَهُ٥٠، تَوَفَّاهُ اللهِ وَلَيْسَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ عِشْرُونَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ.٥١

****

أحوال سيدنا رسول الله ﷺ البشرية٥٢

عناية النبي ﷺ بجسمه الشريف

نتحدث عن عناية النبي ﷺ بهذا الجسم البشري الذي صاغه الله، وكوَّنه جلَّ في علاه، وأبرز ما نتوجه به في ذلك أن نعلم علم اليقين أنه ﷺ كان أنظف الناس بدناً وجسماً وبيتاً وملبساً ومكاناً، بل إنه أدار أمر الإسلام كله على النظافة التامة وقال ﷺ:

{ تَنَظَّفُوا بِكُلِّ مَا اسْتَطَعْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ بَنَى الإِسْلامَ عَلَى النَّظَافَةِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ إِلا كُلُّ نَظِيفٍ }٥٣

وكان ﷺ عندما يأتيه الوفود ينظر في المرآة، ويقول كما أخبرت السيدة عائشة رضي الله عنها: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَظَرَ فِي الْمِرْآةِ قَالَ:
{ اللَّهُمَّ كَمَا حَسَّنْتَ خَلْقِي فَحَسِّنْ خُلُقِي }٥٤، وكان يقول: { إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ }٥٥

فكان شعاره النظافة التامة، وأنا أقول ذلك حتى ننتبه إلى من يدَّعي محبة رسول الله ﷺ والتمسك بهديه، ونرى عليهم قذارة في أبدانهم، وقذارة في ملابسهم، وقذارة في بيوتهم، وقذارة في حالاتهم، لتعلم علم اليقين أن هؤلاء مُجافين بالكلية لما كان عليه حضرة النبي ﷺ.

أقول ذلك لأنه انتشر في البيئات الإسلامية أن الناس يتقربون إلى هؤلاء، ويقولون أنهم مجاذيب، وأنهم أولياء لله، وأنهم مُجابوا الدعوة، وهذا أمر يُنافي ما كان عليه سيدنا رسول الله ﷺ في هديه، وما كان عليه صحبه المباركين رضوان الله تبارك وتعالى عليهم أجمعين.

اكتحاله ﷺ

فكان ﷺ يهتم بكل أعضاء جسده، يهتم بعينه، فكان له مكحلة، وكان هذا هو الدواء المحقق للشفاء لأمراض العين في هذا الزمان، وكان يكتحل كل ليلة قبل أن ينام، ولأنه ﷺ هادياً مهدياً فقد علَّمنا التثليث في كل أمر، وكان يقول:

---

٤٨ الشمائل المحمدية للترمذى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه.

٤٩ شرح {يَسُوقُ أَصْحَابَهُ } من حديث الترمذى فى الشمائل وحديث هند: أي يقدمهم أمامه ويمشي خلفهم كأنه يسوقهم تواضعاً وإرشاداً ولا يدع أحداً يمشي خلفه أو ليختبر حالهم وينظر إليهم حال تصرفهم في معاشهم، أو لأن الملائكة كانت تمشي خلف ظهره أو لغير، فيض القدير.

٥٠ الشمائل المحمدية للترمذى عن على بن أبى طالب رضى الله عنه.

٥١ صحيح مسلم والبخارى والترمذى عن أنس.

٥٢ المعادي – الخميس – ٥ من جماد الأول ١٤٣٥هـ ٢٠١٤/٣/٦م

٥٣ التدوين للرافعي عن أبي هريرة رضى الله عنه

٥٤ الأنوار في شمائل النبي للحسين بن مسعود

٥٥ مسند أحمد عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه

{ إِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ }[٥٦]

فكان يمسك المرود ويضع في اليُمنى ثلاث، وفي اليسرى ثلاث، وكان هذا دأبه، وكانت المكحلة لا تفارقه في سفر ولا حضر، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها:

{ خَمْسٌ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَعُهُنَّ فِي حَضَرٍ وَلا سَفَرٍ: الْمِرْآةُ، وَالْمِكْحَلَةُ، وَالْمُشْطُ، وَالْمِدْرَى، وَالسِّوَاكُ }

وفي رواية: { سَبْعٌ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتْرُكُهُنَّ فِي سَفَرٍ وَلا حَضَرٍ: الْقَارُورَةُ، وَالْمِشْطُ، وَالْمِرْآةُ، وَالْمَكْحَلَةُ، وَالسِّوَاكُ، وَالْمِقَصَّانِ، وَالْمِدْرَى }[٥٧]

هذه الأشياء كان يصطحبها دوماً في كل أحواله صلوات ربي وتسليماته عليه، وكان يأمر أصحابه بالكحل ويقول:

{ عَلَيْكُمْ بِالْإِثْمِدِ، فَإِنَّهُ يَجْلُو الْبَصَرَ وَيُنْبِتُ الشَّعَرَ }[٥٨]

والإثمد هو أعلى أنواع الكحل في زمانه وما بعد زمانه، وهذه إضافة أخرى إلى أنه ﷺ كان يستخدم أفخر الأشياء، ولا يستخدم الأشياء الدون، وقد قَالَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ:{ رَآنِي أَبُو قِلابَةَ وَقَدِ اشْتَرَيْتُ تَمْرًا رَدِيئًا، فَقَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ نَزَعَ مِنْ كُلِّ رَدِيءٍ بَرَكَتَهُ }[٥٩].

أي شيء رديء ليس فيه بركة، فالطعام الرديء يُمرض الجسم، والطعام الصحيح يُصحح الجسم، البركة دائماً في الشيء الجيد، ولذا كان يُراعي الجودة في كل شيء يستخدمه صلوات ربي وتسليماته عليه.

وهذا أيضاً أذَكِّر به إخواني لأنهم يرون من يتشدقون بأنهم يستنون بسنة الحبيب يمسكون بأردئ الأشياء ويستخدمونها، ويزعمون أن هذه هي السُنَّة!! وهذا غير صحيح.

مثلاً من السُنَّة استخدام السواك، والسواك عود من شجر الأراك، أومن أي شجر شبيه به، لكن إذا دخل السواك إلى دائرة التصنيع، وتم تبخيره(أى تعقيمه صناعياً)، وتم تسويته، وتم وضعه في غلاف، أيهما أفضل هذا أم السواك الذي يُلقى على الرصيف؟! لا بد أن أستخدم الجيد، لأن هذا سُنَّة رسول الله ﷺ.

وفي هذا العصر تغيرت الأحوال، وتطور الطب، وظهرت العلاجات الحديثة، وليس معنى أن رسول الله ﷺ كان يستخدم الكحل أن أستخدمه وأحرّم ما سواه كما يفعل بعض المتشددين الجاهلين، أنا أستخدم ما يُستحدث من دواء لأن النبي ﷺ خبَّر عن ذلك فقال:

{ تَدَاوَوْا عِبَادَ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عز وجل لَمْ يُنَزِّلْ دَاءً إِلا أَنْزَلَ مَعَهُ شِفَاءً }[٦٠]

وقال في الحديث الآخر: { مَا خَلَقَ اللَّهُ دَاءً إِلا وَقَدْ خَلَقَ لَهُ دَوَاءً، عَرَفَهُ مَنْ عَرَفَهُ، وَجَهِلَهُ مَنْ جَهِلَهُ }[٦١]

فهناك أدوية عرفها أهل هذا العصر، ولم تكن معروفة للسابقين، ولذا علينا استخدام الأدوية الحديثة، لأن المهم أن نحافظ على سلامة العينين لأنهما عضو رئيسي للإنسان أكرمه به الرحمن عز وجل، إما بالقطرات، وإما بالمراهم، وإما باستخدام منظار للمشي، أو منظار للقراءة، أو واحد للمشي وآخر للقراءة كما يحدد الطبيب المعالج.

---

[٥٦] سنن الترمذي وأبي داود عن علي بن أبي طالب رضى الله عنه
[٥٧] تاريخ بغداد للخطيب البغدادي
[٥٨] سنن ابن ماجة والحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهم
[٥٩] سير أعلام النبلاء
[٦٠] سنن الترمذي ومسند أحمد عن أسامة بن شريك رضى الله عنه
[٦١] الطبراني والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه

وإذا جرى للعين أي أمر يعوق النظر علىَّ أن أسارع إلى الطبيب المعالج لأجلو البصر لأن هذا كان هديه ﷺ في ذلك.

اهتمامه بشعره ﷺ

وكان ﷺ يهتم بشعره كله، شعر رأسه، وشعر لحيته، وشعر شاربه، وشعر جسمه، كل جزء منهم له قسط معلوم من عناية الرءوف الرحيم ﷺ، أما شعر الرأس فقد قال في الأمر العام لجميع المنتسبين لدين الإسلام:

{ مَنْ كَانَ لَهُ شَعْرٌ، فَلْيُكْرِمْهُ }[٦٢]

وإكرامه بالمداومة على غسله، والمحافظة على تسريحه، وكان ﷺ يُسرح شعره لأنه ﷺ لخصوصيته عند ربه، ولأمر لا يعلمه إلا الله لم يحلق شعره إلا في منسك من المناسك الشرعية، في عمرة أو في حج، فلم يحلقه كما نحلق نحن في الأيام العادية، وهذا ليس لنا أن نتأسى به فيه، لأن هذه خصوصية لرسول الله ﷺ.

كان أهل الكتاب يُسرِّحون شعورهم ويُنزلونها على هيئة واحدة ففعل ﷺ ذلك في بداية دعوته موافقاً لهم تلطفاً بهم ليدخلوا في دين الإسلام، ثم بعد ذلك فَرَق شعر رأسه، وهذه الهيئة ليست بالضرورة على المرء أن يتبعها، ولكن الذي عليه أن يتبعه ضرورةً نظافة الشعر والحرص على تسريحه كما كان يفعل رسول الله ﷺ.

أيضاً كان رسول الله ﷺ يترك لحيته، وترك اللحية سُنَّة وليس فريضة كما يدَّعي بعض المتشددين، لأننا لو جعلناها فريضة لشدَّدنا على المسلمين، والنبي ﷺ جعلها سُنَّة، والسُنَّة من فعلها كان له أجرها، ومن لم يفعلها ليس عليه سؤال ولا ذنب ولا عقاب، وهذا هو ما اختاره أئمة الفقه المعتدلين في مذاهبهم؛ أن إعفاء اللحية سُنَّة عن رسول الله ﷺ.

وكان ﷺ يُسرِّح لحيته، وينظر إليها دوماً في المرآة عندما يأتي ضيفان، وكان يأخذ منها كلها، أحياناً يأخذ من طولها، وأحياناً يأخذ من عرضها، حتى تكون كل الهيئات صالحة لأمته، فلا يدَّعي أحد أن هذا فقط هو السُنَّة وغيره خلاف ذلك.

ولم يكن النبي ﷺ يصبغ لحيته لأنه ﷺ لم يظهر له في لحيته إلا ما لا يزيد عن عشرين شعرة بيضاء، لكنه أباح الخضاب – الصبغ – سواء اللحية أو الشعر لأصحابه، فكان سيدنا أبو بكر وغيره يخضبون لحيتهم، أما شعر الرأس فكان ﷺ يخضبه بالحناء، وهذا لزوم الوحى، فعندما كان يأتيه الوحى كان يحدث له صداع شديد، فكان يجعل على رأسه الحناء عند نومه، وهذا يُذهب الصداع، وهذه سُنَّة عن حضرته ﷺ.

أما صبغ الشعر بأي لون آخر ولو الأسود فلا بأس من ذلك، ولا مانع لأننا رأينا من يُحرِّم ذلك للرجال، لماذا تُحرم طيبات ما أحلَّ الله عز وجل؟! هو حرام في حالة واحدة إذا كان المرء مقبل على الزواج وشعره قد شاب، فيجعل على رأسه صبغة ليغش من يتقدم إليها بالخطبة، لكن إذا كان ليس له بغية في هذا الأمر فليصبغ شعره بما شاء، وخاصة النساء، فليس عليهن حرج في أن يصبغن شعرهن باللون الأسود أو بأي لون آخر، على أن يكون ذلك من شيء طيب حتى لا يؤثر في الشعر بسوء.

وتربية اللحية سُنَّة وليست فريضة لمن أراد أن يقوم بها، ويقول فيها ﷺ:

{ أَحْفُوا الشَّوَارِبَ، وَأَعْفُوا اللِّحَى }[٦٣]

[٦٢] سنن أبي داود والطبراني عن أبي هريرة رضى الله عنه
[٦٣] الصحيحين البخاري ومسلم عن ابن عمر رضى الله عنهم

ولذاكان ﷺ يترك شاربه، ويأمر بقصه وليس بحلقه، وكان يقصه كل جمعة قبل الصلاة، وذلك بقصُّ الشعر الزائد النازل على الفم حتى لا يعوق الفم، قال ﷺ:

{ قُصُّوا الشَّوَارِبَ مَعَ الشِّفَاهِ }٦٤

ولذلك نرى أئمة المذاهب الفقهية قد كرَّهوا حلق الشارب لأنه من العلامات الفارقة بين الرجل والمرأة، حتى أن الإمام مالك أوجب في مذهبه أن يُحَد حالق شاربه ثلاثين جلدة، لأنه أصبح شبيهاً بالنساء، روى عبد الله بن عباس ﷺ قال:

{ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ }٦٥

لكن البعض يُصر على هواه، ويريد مع ذلك أن يبلغ مناه مع أنه يخالف منهج الصالحين والأئمة ﷺ في كل وقت وحين.

فكان النبي ﷺ يقص شاربه كل جمعة قبل صلاة الجمعة، وأباح الأئمة أن يصنع الإنسان ذلك من عصر الخميس إلى يوم الجمعة، فيجعل شاربه وجيهاً ولا ينزل منه شيء على الشفتين، حتى يكون مؤدباً بأدب الأكل الذي كان عليه رسول الله ﷺ،

وكان ينهى عن نتف الشيب ويقول:

{ مَنْ شابَ شيبةً في الإسلامِ؛ كانت له نوراً يوم القيامةِ }٦٦

وكان رسول الله ﷺ يُقلم أظفاره كل خمسة عشر يوم مرة، وكان له طريقة في ذلك، فكان يبدأ بالسبابة ثم ما يليها، ثم يرجع إلى الإبهام، ويصنع ذلك باليمين أولاً ثم باليسار، لأنه كان يتيامن في كل أحواله، وأخبرت السيدة عائشة ﷺ:

{ كانَ النبيُّ يُحِبُّ التَّيَامُنَ في كُلِّ شيءٍ حَتَّى في التَّرَجُّلِ والانتعَالِ }٦٧

ولم يرد في خبر صحيح يوم مفضل لقص الأظافر، لكن المهم أنه ﷺ كان يقص أظافره كل خمسة عشر يوم مرة، وكان ﷺ يحلق عانته وما تحت إبطيه كل شهر مرة، ووقَّت لأصحابه وقال سيدنا أنس ﷺ:

{ وَقَّتَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَلْقَ الْعَانَةِ وَتَقْلِيمَ الأَظْفَارِ وَقَصَّ الشَّارِبِ وَنَتْفَ الإِبِطِ كلَّ أَرْبَعِينَ يَوْمٍ مَرَّةً }٦٨

لكن خيركم من يمشي على الهدي النبوي لسيدنا رسول الله ﷺ في ذلك.

تسوُّكه ﷺ

وكان ﷺ حريصاً على أسنانه وعلى أسنان أصحابه، فكان يأمرهم بالسواك، ويقول:

{ مَا لِي أَرَاكُمْ تَأْتُونِي قُلْحًا؟ اسْتَاكُوا }٦٩

وقلحاً أي أسنانكم مصفرة من أثر اللون الذي تكوَّن من فضلات الطعام، وكان يقول مرغباً لهم في ذلك:

---

٦٤ معجم الطبراني عن الحكم بن عمير رضى الله عنه

٦٥ صحيح البخاري وسنن الترمذي

٦٦ رواه الترمذي، والنسائي. عن كعب بن مرّة، مشكاة المصابيح

٦٧ عن مسروق عن عائشة صحيح ابن حبان

٦٨ صحيح مسلم وسنن ألترمذي وأبي داود

٦٩ مسند أحمد والطبراني عن تمام بن عباس رضى الله عنه

{ لَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاةٍ }[٧٠]

ويقول في فضله:

{ فَضْلُ الصَّلاةِ بِالسِّوَاكِ عَلَى الصَّلاةِ بِغَيْرِ سِوَاكٍ سَبْعِينَ ضِعْفًا }[٧١]

وكان ﷺ كما تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: كلما استيقظ من النوم بادر إلى السواك، لا يفارق السواك ليلاً ولا نهاراً صلوات ربي وتسليماته عليه لسلامة أسنانه، ولجودة رائحة فمه، فإنه كان ﷺ حريص على أن يخرج من أفواه المؤمنين الرائحة الطيبة على الدوام.

وفي العصر الحديث ظهرت معاجين الأسنان والفرش، ولا مانع من استخدامها، وهي سُنَّة حميدة، فالفرشاة تعادل السواك عندما نضغط على الجزء الذي نستاك به ونجعله كالفرشاة، والمادة التي في معجون الأسنان إن كانت منظفة أو للرائحة الطيبة كالمادة التي في السواك لكن طورها العلم، فإن شئت فاستخدم السواك، وإن شئت فاستخدم معجون الأسنان، وإن شئت فاجمع بينهما واستخدم هذا وذاك، المهم أن تحافظ على ذلك وخاصة عند الخروج من المنزل وبعد الطعام وعند الذهاب إلى الجماعات والمجتمعات حتى لا يُرى من المؤمن إلا الرائحة الطيبة، وعند النوم.

وينبغي بالإضافة إلى ذلك لمن يُعاني من سوء رائحة فمه لأن هذا الأمر ربما يعود إلى جوفه وليس لأسنانه، فقد استحدث الطب في الصيدليات بخاخ للفم، يستخدمه المؤمن فيُعطر الفم ولا يضر، واستخدام هذا البخاخ في رمضان لا يُفطر كما أفتى علماء المملكة العربية السعودية، فتستطيع أن تستخدمه عند الخروج من المنزل، أو عند الذهاب إلى جماعة، ويستوجب على المؤمن والمؤمنة، الزوج والزوجة استخدامه عند النوم حتى لا يشم منها رائحة كريهة يتأذى منها، ولا تشم هي منه رائحة كريهة تتأذى منه، وهذا أمر سهل ميسور.

كل ما يؤدي إلى نظافة الفم والأسنان من مضمضة ومن سواك ومن معجون وغيره ينبغي على المؤمن أن يستخدمه ليتأسى في ذلك برسول الله ﷺ.

هيئاته ﷺ

كان ﷺ في هيئاته البشرية بشر لكنه كما قيل في شأنه: "محمد ﷺ بشر ليس كسائر البشر، كالياقوت حجر ليس كسائر الحجر" فإن الله عز وجل تولاه وألهمه لما فيه الخير لنفسه ولكل عباد الله جل في علاه.

سروره وغضبه

كان ﷺ يُسر ويغضب ويظهر ذلك على وجهه لشدة صفاءه، كان إذا سُرَّ استنار وجهه، وظهرت عليه البشاشة، ويظهر عليه السرور، وإذا غضب يتغير وجهه، ويضرب عِرق في وجهه، ويظهر عليه الوجوم، ويظهر عليه الحزن صلوات ربي وتسليماته عليه، لكنه أعطانا روشتة نبوية لداء الغضب الذي لا تسلم منه البشرية كلها، فكان ﷺ – كما علَّمنا – إذا كان واقفاً وغضب جلس، وإذا كان جالساً وغضب اضطجع، وإذا كان مضطجعاً وغضب قام واقفاً، وإذا زاد الغضب خرج عن هذا المكان، وإذا زاد الغضب عن الحد توضأ وصلَّى ركعتين لله، ويقول لمن حوله:

{ إن الغضب جمرة من النار وأن الشيطان خلق من النار وإنما تطفأ النار بالماء فإذا غضب أحدكم فليتوضأ }[٧٢]

[٧٠] صحيح مسلم وسنن الترمذي عن أبي هريرة رضى الله عنه
[٧١] مسند أحمد والحاكم عن عائشة رضي الله عنها

كما أن الماء يُطفيء النار، فالوضوء يُطفيء نار الغضب في صدر الإنسان، فكان هديه ﷺ ذلك مع أنه كان لا يغضب لنفسه قط، لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله عز وجل، يغضب لرجل هتك شرع الله، يغضب لرجل فعل شيئاً يُغضب الله، لكنه لا يغضب إذا أُسيء لحضرته لأنه يعمل بقول الله عز وجل{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} (الأعراف ١٩٩)، ويقول لمن يغضب لنفسه:

{ الويل لمن يغضب وينسى غضب الله }٧٣

فينبغي على المؤمن الذي يتأسى بحضرته أن يكون دائماً على هذا المنهج النبوي السديد والهدى الرشيد، يجعل لنفسه ميزاناً ألا يغضب لنفسه إلا بقَدَر، لكن لا يشتد غضبه إلا إذا كان هناك انتهاك لحرمات الله، أو انتقاص من دين الله جل في علاه.

ضحكه وبكاؤه ﷺ

وكان ﷺ يتبسم ويضحك، والضحك أنواع، منه التبسم وهو أن يظهر على ثغر الإنسان البسمة والسرور، وفيها يقول الحبيب ﷺ:{ تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ }٧٤، وهذا كان في معظم أحواله.وقد قيل: { كان جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ} ٧٥ وكان ﷺ دائم التبسم، وأظن أن هذا ما نحتاج إليه الآن في العلاقات الاجتماعية، ونشر أدب التعامل في المصالح الخاصة والحكومية، دورات حُسن التعامل مع الزبائن تحتاج أولاً إلى قوله ﷺ:{ تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ }، فكان ﷺ يتبسم وهو يعظ، ويتبسم وهو يتكلم، ويتبسم وهو جالس، يتبسم دائماً، ويجعل شعار المؤمن البسمة الدائمة لإخوانه المؤمنين، والبسمة تدل على صفاء الصدر ونقاء القلب.

أما الضحك وهو التبسم مع صوت رقيق لا يُسمع إلا الشخص ومن حوله فقط، فهذا كان لا يحدث منه ﷺ إلا لماماً في بعض الأمور الخاصة للإباحة، لأنه كان يُروِّح عن أصحابه، ومع ذلك كان يقول لهم: { إِنِّي لأَمْزَحُ وَلا أَقُولُ إِلا حَقًّا }٧٦

وعن بن الحارث: { مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ }٧٧ وعنه أيضا: { مَا كَانَ ضَحِكُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلا تَبَسُّمًا }٧٨.

وكان رسول الله ﷺ لا يحدث حديثاً إلا تبسم، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم من غير صوت اقتداءاً به وتقديراً له ﷺ، وكانوا إذا جلسوا عنده كأنما على رؤوسهم الطير، وكان ﷺ إذا جرى به الضحك وضع يده على فمه، وكان ﷺ من أضحك الناس وأطيبهم نفساً، وورد في أحاديث أن النبي ﷺ ضحك حتى بدت نواجزه (أي أضراسه) وإن كان من أحواله ﷺ التبسم، على سبيل المثال قال ﷺ لأصحابه:

{ إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ قَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَبِّ، ائْذَنْ لِي فِي الزَّرْعِ، فَيَأْذَنُ لَهُ فَيَبْذُرُ حَبَّهُ، فَلا يَلْتَفِتُ حَتَّى

٧٢ عن عطية رضى الله تعالى عنه، الآحاد والمثانى.

٧٣ رواه الديلمي عن أبي هريرة.

٧٤ سنن الترمذي وصحيح ابن حبان عن أبي ذر رضى الله عنه

٧٥ المعجم الكبير للطبراني وشعب البيهقي عن هند بن أبي هالة رضى الله عنه

٧٦ معجم الطبراني عن ابن عمر رضى الله عنهم

٧٧ جامع الترمذي ومسند أحمد عن عبدالله بن الحار رضى الله عنه.

٧٨ جامع الترمذي والأحاديث المختارة

يَكُونَ طُولُ كُلِّ سُنْبُلَةٍ اثْنَيْ عَشَرَ ذِرَاعًا، ثُمَّ لا يَبْرَحُ مَكَانَهُ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُ رِكَامٌ أَمْثَالُ الْجِبَالِ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لا تَجِدُ هَذَا الرَّجُلَ إِلا قُرَشِيًّا أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ }٧٩

وكان مرة يُحدّث أصحابه ويقول:

{ إِنِّي لأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ كَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلأَى، فَيَرْجِعُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً }٨٠

ضحك رسول الله ﷺ في هذا المجال وهذا الأمر، لأن هذا أمر كان يُروِّح به عن نفوس أصحابه صلوات ربي وتسليماته عليه.

فكان ﷺ أكثر ضحكه التبسم، ولا يضحك بصوت إلا قليلاً، ويُسمع من حوله، أما الضحك بصوت عال يُسمع البعيد فهذا ما يُسمَّى بالقهقهة، وهذا لم يكن من خصال رسول الله ﷺ، فلم يكن من خصاله أن يضحك في مكان ويسمعه الذين يمرون في الشارع، لأنه ﷺ كان شعاره الوقار، والضحك الزائد عن الحد يُذهب هيبة المرء، يُذهب وقاره ولذلك كان هذا هديه ﷺ في هذا الأمر.

أما بكاء النبي ﷺ فكان كذلك، فكان من جنس ضحكه لم يكن بشهيق ورفع صوت كما لم يكن ضحكه بقهقهة، ولكن تدمع عيناه حتى تنهملان ويسمع لصدره أزيز، يبكي رحمة لميت، وخوفاً على أمته وشفقة، ومن خشية الله، وعند سماع القرآن، وأحيانا في صلاة الليل، فعن عبدالله بن الشخير عن أبيه قال:

{ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيزٌ – صوت – كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ – القدر – مِنَ الْبُكَاءِ }٨١

فكانت تدمع عينه صلوات ربي وتسليماته عليه، وكان ذلك في أمور، فكان يبكي شفقة على أمته ورحمة بهم، وحنانة عليهم، ويقول: أمتي أمتي، حتى أنزل الله عز وجل الأمين جبريل وقال:

{ إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلا نَسُوؤُكَ }٨٢

وكان يبكي أحياناً رحمة لمن مات من ذوي قرباه، فقد كان سيدنا عثمان بن مظعون ﷺ قريب له ومن المحببين إلى قلبه صلوات ربي وتسليماته عليه، فلما مات عثمان طفرت الدموع من رسول الله ﷺ، تقول السيدة عائشة ﷺ:

{ قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عُثْمَانَ بْنَ مَظْعُونٍ وَهُوَ مَيِّتٌ، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى دُمُوعِهِ تَسِيلُ عَلَى خَدَّيْهِ }٨٣

{ ولما مات ابنه إبراهيم جَعَلَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ ﷺ: وَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟!

---

٧٩ معجم الطبراني عن أبي هريرة رضى الله عنه
٨٠ الصحيحين البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه
٨١ صحيح ابن حبان والحاكم في المستدرك
٨٢ صحيح مسلم وابن حبان عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهم
٨٣ سنن ابن ماجة ومسند أحمد

فَقَالَ: يَا ابْنَ عَوْفٍ إِنَّهَا رَحْمَةٌ }٨٤.

وكذلك ورد أنه: { أَرْسَلَتِ ابْنَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَيْهِ، إِنَّ ابْنًا لِي قُبِضَ فَأْتِنَا، فَأَرْسَلَ يُقْرِئُ السَّلاَمَ وَيَقُولُ: إِنَّ للهِ مَا أَخَذَ وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ، تُقْسِمُ عَلَيْهِ لَيَأْتِيَنَّهَا؛ فَقَامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَرِجَالٌ؛ فَرُفِعَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ الصَّبِيُّ وَنَفْسُهُ تَتَقَعْقَعُ كَأَنَّهَا شَنٌّ، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ فَقَالَ سَعْدٌ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هذَا فَقَالَ: هذِهِ رَحْمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءُ }٨٥

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ﷺ قَالَ: اشْتَكَى سَعْدٌ بن عِبَادة شَكْوَى، فَأَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَلَمَّا دَخَلَ وَجَدَهُ فِي غَشِيَتِهِ، فَقَالَ: قَدْ قَضَى يَا رَسُولَ اللَّهِ:

{ فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمَّا بَكَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَكَوْا، فَقَالَ: أَلا تَسْمَعُونَ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلا لا يُعَذِّبِ بِدَمْعِ الْعَيْنِ، وَلا بِحُزْنِ الْقَلْبِ،وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا أَوْ يَرْحَمُ، وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ }٨٦

فكان بكاءه ﷺ بغير صوت ولا نشيج، وإنما تطفر الدموع من عينيه فقط صلوات ربي وتسليماته عليه، وكان أحياناً يبكي من خشية الله، وقد قال ﷺ لنا:

{ عَيْنَانِ لا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ }٨٧

وهو ﷺ كان أقرب الناس وأولى الناس وأول الناس خشية لله عز وجل، فكان ﷺ يبكي عند قراءة القرآن أو سماعه، يقول سيدنا عبد الله بن مسعود ﷺ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ:

{ اقْرَأْ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَأَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ، قَالَ: نَعَمْ. فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيدًا ﴾ قَالَ: حَسْبُكَ الآنَ، فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ }٨٨.

فكانت دموعه ﷺ في هذه المناسبات، وفي هذه المشاهدات، دموع تطفر من عينيه بلا صوت ولا حس ولا حركة صلوات ربي وتسليماته عليه.

العطاس والتثاؤب

وكان ﷺ له عطاس، وعند عطسه علَّمنا أن يُخفض صوته، وأن يجعل يده على فيه أو جزء من ثوبه، ولا بأس في هذا العصر أن تضع منديلاً إن كان ورقياً أو كان قماشاً، وكان يكره أن يسمع رجلاً في المسجد يرفع صوته بالعطاس، ويقول:

{ إِنَّ اللَّهَ عز وجل يَكْرَهُ رَفْعَ الصَّوْتِ بِالْعُطَاسِ وَالتَّثَاؤُبِ }٨٩

فكان يكره الذي يعطس بصوت مرتفع، إن كان في المسجد أو غيره لأنه كان ﷺ حريص على الأدب الجم الذي

---

٨٤ صحيح البخاري وسنن أبي داود عن أنس رضى الله عنه

٨٥ عن أسامة بن زيد :اللؤلؤ والمرجان والتاج الجامع للأصول.

٨٦ الصحيحين البخاري ومسلم

٨٧ سنن الترمذي والبيهقي عن عبد الله بن العباس رضى الله عنهم

٨٨ الصحيحن البخاري ومسلم

٨٩ عمل اليوم والليلة لابن السني عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنه

علَّمه له الله عز وجل، والذي قال فيه له مولاه:{ وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ }(القلم-٤).

وكان ﷺ إذا عطس حمد الله فيقال له: يرحمك الله فيقول: يهديكم الله ويصلح بالكم.

أما التثاؤب فما كان يتثائب قط، وقد حفظه الله منه، وقد قال ﷺ:{ ما تثاءب النبي ﷺ قط }٩٠ وفى الأثر: { ما تثاءب نبي قط }، وكان ﷺ يكرهه من غيره،
ويعلِّم أصحابه عند التثاؤب أن يضعوا يدهم مقلوبة أو شيئاً على أفواههم، ويأمرهم أن يستعيذوا بالله من الشيطان الرجيم، ويقول:{ التَّثَاؤُبُ مِنَ الشَّيْطَانِ }٩١

ادفع هذا الأمر لأنه من الشيطان، وهذا كان أمره في التثاؤب لأمته.

تطيبه ﷺ

عندما نرى الأوصاف العظيمة التي سار عليها رسول الله، والعناية بجسده نجد أن الأمر الجامع التام العام العناية بأعضاء أعطاها لنا الله، العناية بالجسم كله، وأبرز ما فيها النظافة والهيئة الطيبة، فكان ﷺ يأمر كل مسلم أن يغتسل كل سبعة أيام مرة ويقول ﷺ:

{ حَقٌّ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ كُلَّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ، وَأَنْ يَمَسَّ طِيبًا إِنْ وَجَدَهُ }٩٢

وجعل الغسل يوم الجمعة سُنَّة لأن الإنسان سيقابل الجماهير الإسلامية،
ولذا لا بد أن يكون نظيف.

كان ﷺ عَرَقه –كما ذكرنا – أطيب من ريح المسك.

ولا يمس أحداً بيده إلا ومكث ريح طيبة في يده ثلاثة أيام على الأقل.

وإذا مشى في طريق عُرف أنه مشى في هذا الطريق من رائحته الطيبة التي فاحت في هذا الطريق.

ومع ذلك كله كان ﷺ يعتني بالطيب غاية الاعتناء:

- فكان ﷺ له وعاء يضع فيه كل أنواع الطيب العظيمة والفخمة.
- وكان ويضع من الطيب على رأسه، وعلى لحيته، وعلى جسده.
- مرة يضع العود، ومرة يضع المسك، ومرة غيرهما من أنواع الطيب التي كان ﷺ يحرص عليها دائماً.
- وكان يحرص على التطيب في كل الأحيان، وخاصة عند الذهاب إلى المسجد، وعند الجمعة، وعند الجماعات، وعند الدخول في المجتمعات.
- ولذا رُوي عن سيدنا أنس بن مالك ﷺ أنه كان لا يَرُدُّ الطيب، وسُئل في ذلك، فقال ﷺ:

{ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لا يَرُدُّ الطِّيب }٩٣.

٩٠ الحديث أخرجه ابن أبي شيبة والبخاري في «التاريخ» من مرسل يزيد بن الأصم، والأثر: أخرجه الخطابي من طريق مسلمة بن عبدالملك بن مروان، فتح الباري شرح صحيح البخاري.

٩١ الصحيحين البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه

٩٢ صحيح ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة رضى الله عنه

٩٣ صحيح البخاري وسنن الترمذي

فهذا الجسد النوراني الذي عرقه أطيب من طيب كل الوجود، ومع ذلك يستخدم الطيب ليُعلِّمنا أن نتطيب، وأن نحرص على الطيب، وأن نكون على خطى الحبيب ﷺ.

وكان ﷺ يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيراً ويحض عليهما ويقول:

{ إِنَّمَا حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمُ النِّسَاءُ، وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الـ ـَّلاةِ }[٩٤]

أما الرواية التى تقول: "حبب إلي من دنياكم ثلاث" فلا أصل لها:

ففي المواهب قال شيخ الإسلام الحافظ بن حجر: إن لفظ ثلاث لم يقع في شيء من طرقه وزيادته تفسد المعنى، وكذلك قاله الوالي العراقي في أماليه وعبارته ليست هذه اللفظة وهي ثلاث في شيء من كتب الحديث وهي مفسدة للمعنى فإن الـ ـلاة ليست من أمور الدنيا.

وكان رسول الله ﷺ يحب الطيب ويكره الرائحة الكريهة.

وما دمنا سنتطيب:

- فيجب أن نختار الطيب الذي ليس له مردود سلبي على أعضاء جسم الإنسان. ونتبع الطرق العلمية التي هدانا إليها أطباء الأبدان، فالعطور تحتوي على كحول، وإذا وضعت مباشرة على أي جزء من الجسم فإنها تؤثر فيه وتجعل هناك حساسية في هذا الموضع، لكن يجب أن أضع أولاً العطر على اليد ثم أمسح به ما شئت من جسمي.
- ولذلك دائماً أحذر الأحباب من وضع العطر أو رشه مثلاً مباشرة على الوجه لأن هذا قد يكون له تأثير سلبي على العين، ولكن يجب وضعه على اليد أولاً،
فهذه هي الطريقة الـ ـحيحة لاستخدام الطيب كما ينح أهل العلم.
- وألا يكون – كما يبيعه الباعة الجائلون على أبواب المساجد – زيتاً من نوع رديء (مجهول الهوية والمـ ـدر عادة) ويضعون عليه قطرات عطر قليلة ويقولون أنه مسك، فالمسك أصلاً لا شأن له بالزيوت، لأنه من الغزال، أمَّا هذه الزيوت فلا يعرف أصلها وقد تكون ضارة بالإنسان، لا تشترِ ولا تضع على جسمك إلا ما تضمنه وتأمنه ةترجو فائدته! هكذا دائما أحذر وأنبه..

كان ﷺ في هذه الهيئات الكريمة؛ الـ ـورة الطيبة التي ينبغي علينا أن نتهذب بها، وأن نحتذي حذوها، وأن نتأسى بها في كل أحوالنا.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

[٩٤] سنن النسائي ومسند أحمد عن أنس رضى الله عنه